لعبة القوة في أوكرانيا

الباحثة: م. م. سارة شكر احمد

المستخلص

في لعبة توازن القوى، ومن أجل إجراء تقييم محايد لموقفي الدولتين، يمكن الاستناد إلى المعطيات الآتية. فمن جهة، تبدو العملية الروسية للوهلة الأولى وكأنها ضربة استباقية شبيهة بالحروب الوقائية الأمريكية التي لطالما اعترضت عليها الدول، لأنها استندت إلى النوايا والمعلومات الاستخبارية، كما حدث في الاحتلال الأمريكي للعراق وما ترتب عليه من تدمير لهذا البلد. إلا أن ما بعد النظرة الأولى يقتضي التدقيق واستعادة السياقات والأحداث والعودة إلى جذور الحدث الراهن. ومن جهة أخرى، شهدت العقود الثلاثة الماضية توسعاً غير مبرر لحلف شمال الأطلسي (الناتو) باتجاه روسيا حتى بلغ حدودها، فضلاً عن تغيير العقيدة العسكرية للحلف لتشمل مهام جديدة تتجاوز ما نص عليه ميثاقه التأسيسي، مع استمرار استهداف روسيا في العقيدة العسكرية للحلف، وهو النهج الذي استمر لمدة عقد كامل حتى بعد انهيار حلف وارسو.

الكلمات المفتاحية: لعبة القوة، أوكرانيا، روسيا، حلف الناتو.

Game Power in Ukraine

Sarah Shukur Ahmed
Researcher from Iraq

Abstract

In the game of strength for a neutral assess of the position of the two countries, the data can be taken. On the one hand, the Russian process at first glance is a pre - preventive kick similar to the American preventive wars that the countries have always objected to after it dependent on the basis of intentions and intelligence information, for example the American occupation of Iraq and destruction this country, but after the first sight comes the necessity of scrutiny And the recovery of contexts and events to the roots of the current event. On the other hand, three decades of unjustified expansion of NATO around Russia, until its borders, and the change of the military doctrine of NATO to include new missions from outside its founding charter, while continuing Russia's targeting in the military doctrine of the alliance, which it continued for a decade after the collapse of the Warsaw alliance.

Keywords: power game, Ukraine, Russia, NATO.

المقدمة

لقد كانت شرق أوروبا في التأريخ القريب بمثابة المسرح الأمامي التي مارست عليه جميع الإمبراطوريات لعبة القوة، وهي اليوم تستعيد دورها القديم بفعل ما يؤمن به عدد من الكبار الذين يشتركون في العداء لأمريكا، وإن قوة الدولة أو ضعفها هي الأساس في تعامل الدول، وعليه فأن أفضل إستراتيجية أن تكون الدولة دائمًا قوية تحديدًا في النقطة الحاسمة، فالتغيُّرات التاريخية الكبرى لم تحدث إلا من خلال التهديد باستخدام القوة،

وعلى الرغم من معرفة روسيا بعدم قدرتها على معادلة القوة العسكرية أو الاقتصادية الأمريكية، لكنها مع ذلك ترفض أن تظل قوة عالمية من الفئة الثانية، وتسعى الى إعادة تشكيل ميزان القوى العالمي عبر فرض القوة لذا طمحت لبيان قوتها في أوكرانيا بغزوها ومحاولة السيطرة عليها في 2022/2/24، فاللعبة الأوكرانية الحالية تمثّل نموذجاً عن ألعاب متباينة، تعاونية وتنافسية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في نتائجه التي تساهم على فهم لعبة القوة في أوكرانيا والفضاء الأطلسي وتطوراتها بما يساعد على حلها، وما تؤدي به المزاوجة بين استخدام القوة العسكرية ومحاولة الحد من مستوى العنف.

الإشكالية:

تعد أوكرانيا ذات أهمية إستراتيجية كبيرة لروسيا و كذلك لأمريكا، فبالنسبة لروسيا تعتبر أوكرانيا امتداد جغرافيا لها، و على ارتباط تاريخي وثيق بها سواء في العهد القيصري أو السوفيتي، أما بالنسبة لأمريكا فهي ترى انه من الواجب التمدد و حصر روسيا في حدودها بما يمنعها من التوسع، و لها في ذلك قراءات جيوبوليتيكة متعلقة بالموقع الروسي، وفقا لأراء المنظر الاستراتيجي ماكيندر من جهة ومن جهة أخرى حماية الحليف الأوروبي، و نشر دروع صاروخية، بما يحد من خطر التفوق الروسي في مجال الصواريخ الإستراتيجية، وبهذا يلعب كلا الطرفين أوراقه في الحرب الأوكرانية بما يخدم مصالحه توجهاته، وهذا ما نحن بصدد معالجته من خلال طرح الإشكال التالي: ما هي الأسباب التي أدت إلى انفجار الاحداث في أوكرانيا ؟، ما الذي يحدد التصورات الروسية للأحداث في أوكرانيا ؟، وكيف أثرت استراتيجيات الأطراف في سير لعبة القوة في أوكرانيا؟

الفرضية: اعتمدت روسيا على التصعيد في اوكرانيا لتدعيم موقفها في محاولة استرجاع مجالها الحيوي، وكلما صعدت روسيا في استعمال القوة أدى ذلك إلى التصعيد من الطرف الأمريكي، وتعقيد الأوضاع في أوكرانيا.

مناهج الدراسة: تم الاستعانة بعدة مناهج منها المنهج الوصفي: وصف الأهمية الجيوبوليتيكة للمنطقة من الناحية الجيوستراتيجية، ومن جهة أخرى لوصف العلاقات بين أطراف النزاع وتصوراتهم للمنطقة، والمنهج التاريخي: لتتبع مسار النزاع ورصد مراحله المختلفة، بما يساعدنا على فهم تصورات الأطراف ودوافعهم، وتفسير لجوئهم إلى سلوك دون أخر.

هيكلية البحث: تم تناول البحث وفق محورين أساسيين هما المحور الأول: الأهمية الجيوستراتيجية لأوكرانيا، المحور الثاني: القوة ودورها في أدراك اللعبة في المنطقة.

المحور الأول: الأهمية الجيوستراتيجية لأوكرانيا

من المعلوم والمنطقي إن سمات ومميزات الموقع الجغرافي والتركيب الديموغرافي لأي دولة ومنها أوكرانيا ينتج عنه مردودات وفوائد للدولة، ولكن من جهة أخرى يجعل هذا الوضع الدول المتاخمة لها والقوى الدولية

والإقليمية الكبرى والقوية في حالة تنافس على هذه المنطقة أو الدولة لاستثمار مميزات موقعها ومواردها وقومياتها وإثنياتها بما يحقق أهدافها ومصالحها.

وبما ان أوكرانيا تحتل مكاناً جديداً وهاماً في رقعة الشطرنج الأوراسية، فهي دولة محورية جيوبولتيكية لأن وجودها ذاته كدولة مستقلة يساعد على تحويل أو تغيير موقف روسيا، وهكذا فإن روسيا بدون أوكرانيا لا تشكل إمبراطورية أوراسية، وروسيا بدون أوكرانيا تستطيع أن تتابع السعي إلى أن تكون ذات وضع أو هيبة إمبراطورية، ومهما يكن الأمر فإذا استعادت موسكو السيطرة على أوكرانيا بمواردها الكبيرة ووجودها على البحر الأسود فإن روسيا تستعيد عندئذ وبشكل أتوماتيكي ثرواتها لتصبح دولة إمبراطورية قوية ممتدة عبر أوربا وآسيا، وكذلك فإن فقدان أوكرانيا لاستقلالها سوف يترك تأثيرات نووية على أوروبا الوسطى، محولا بولونيا إلى دولة محورية جيواستراتيجية على الحدود الشرقية لأوروبا الموحدة (Grajauskas، 2009).

وعليه أثبتت الأزمات التي عاشتها أوكرانيا ولا تزال إن الأحداث والاضطرابات الحاصلة والأسباب الناتجة عنها تقترن موقعها الاستراتيجي الذي أوجد في الوقت ذاته انقساماً و تثبيتاً في الميل والتحالف حسب الاتجاه الجغرافي، فبدلاً من أن يكون الموقع الإستراتيجي المتميز لأوكرانيا عاملاً معززاً لسياسة أوكرانيا تستثمره في اتجاه تقوية مكانتها وتعزيز قوتها في النظام السياسي الدولي، كان الانقسام الأوكراني في الميل والتحالف بين شرق موالي لروسيا، وغرب موالي لأوروبا والدول الغربية، وكذلك إصرار كل من الطرف الشرقي والطرف الغربي كل في اتجاهه وميله وتحالفه وجهة تمحوره، وقد انعكس ذلك سلباً على التوجه القومي والولاء لأوكرانيا مع إظهار كل طرف نفسه على إنه يدافع عن المصلحة القومية للدولة.

ومن الجدير بالذكر ان هكذا أوضاع تتعدى تأثيراتها حدود أوكرانيا وتلقي بانعكاساتها على الدول الأخرى ولاسيما دول الجوار التي تتمحور حولها التحالفات الشرقية والغربية والتي لها مصلحة مباشرة في أوكرانيا، فروسيا الاتحادية تضغط باتجاه تحقيق سيطرتها أو بالأحرى إعادة سيطرتها على أوكرانيا كجزء من مناطق نفوذها – النفوذ السابق السوفيتي – وكذلك استثمار وجود أسطولها العسكري في البحر الأسود والاستثمار في مجال الطاقة ، وترى في الموالين لها في أوكرانيا الداعم لمشاريعها وخططها الإستراتيجية، أما دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وفي إطار النظام السياسي الدولي القائم على القطبية الأحادية تسعى لتعزيز مصالحها ونفوذها في أوكرانيا وتستثمر الجوار الأوروبي الغربي لأوكرانيا بالحث على دخول دول الاتحاد الأوروبي مع أوكرانيا في شراكات اقتصادية تقرب أوكرانيا بشكل أكبر من النظام الرأسمالي ومعايير الاتحاد الأوروبي، فهنا ستكون أوكرانيا النقطة التي تشهد تعارض إرادات ومصالح روسيا الاتحادية ودول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ولكن من الطبيعي أن لا تصل إلى مواجهة أو حرب باردة جديدة، إلا إن ذلك لا يحل أزمات أوكرانيا فما بين وجود عسكري روسي في شرق أوكرانيا وهدنة ما بين الأطراف المتعارضة وانشقاق أوكراني – أوكراني أي شرقي – غربي، على أوكرانيا أن تفكر في الخروج من هذه الأزمات

كدولة مستقلة بإتباع سياسة داخلية وخارجية ثابتة ومستقلة قائمة على وضع المصلحة القومية الأوكرانية اولى أولوياتها وباتفاق كل الأوكرانيين كدولة أوكرانيا الموحدة وشعب أوكرانيا الموحد ومغادرة حالة الانقسام التي ستفضي إلى القضاء على الأزمات التي تعيشها، وأن تكون علاقاتها الدولية بشكل متساوي ومتوازن مع أية جهة دولية وبما يحقق مصالحها القومية من خلال سياسة ثابتة واستراتيجيات دولية واقليمية تفضي الى وضع اوكرانيا في مكانتها الصحيحة في النظام الدولي.

المحور الثاني: القوة ودورها في أدراك اللعبة في المنطقة

تحولت أحداث الأزمة الأوكرانية إلى مساحة لـ "لعبة كبرى" جديدة، بحيث يشارك فيها كل لاعب سعياً لتحقيق مصالحه الخاصة ويتخذ قراراته بشأنها وفق تقدير لمواقف اللاعبين الآخرين من جهة، وللفرص والمخاطر الخاصة به من جهةٍ ثانية، وتتغير لعبة القوة تبعا لظروف الزمان والمكان وتبعا للمتغيرات المتعلقة ببقية عوامل القوة، فمثلًا لم يعد للإمكانيات البشرية دور يذكر في حسم الصراعات الدولية في ظل التقدم التقني الهائل في مجال إنتاج السلاح ذو القوة التدميرية الهائلة، لذا نرى ان للقوة دور في إدراك اللعبة في أوكرانيا، فقد أطلقت روسيا عمليتها العسكرية الخاصة في أوكرانيا، بناءً على تقدير استراتيجي، يرى في أداء القيادة الحالية في كييف وفي المشروع اليميني القائم فيها خطراً يهدد أمن البلاد، وقوام هذا المنطق يتأسس على معطيات كثيرة منها تنمية مجال التسلح والعسكرة في أوكرانيا، وصولاً إلى نية كييف امتلاك أسلحةٍ نووية، بالإضافة إلى التجهيز التقني والعسكري للدول الأطلسية عند حدود روسيا الغربية، فوجود حلف الناتو في أوكرانيا لا يعني تطويق روسيا بقدر ما يعني الدخول لقلب قلبها ويبلور ديناميات تغييرية غربية داخل المجتمع الروسي، لذا يرى بوتين المسألة على النحو التالي: "إمّا أن نفكك المشروع الأطلسي في أوكرانيا، او نواجه خطر تفكك روسيا نفسها" (دهشان، 2022).

ولعلم الغرب بعودة روسيا، سارعت الولايات المتحدة بقوة إلى ضم دول شرق أوروبا المستقلة عن المعسكر السوفيتي تحضيرا للعودة الروسية، هذا وقد عادت روسيا إلا أنها وجدت نفسها محاصرة من جميع الجوانب تقريبا، ولم يتبق لها سوى النافذة الأوكرانية التي لن تتوانى حتى عن دخول الحرب في سبيلها، المستفيد من ذلك هي واشنطن فهي ستضمن دخول روسيا في عملية استنزافية، وفي ذات الوقت تحديد ولاء أوروبا للمظلة الأمنية الأطلسية (الحداد، 2020).

ووفق لما سبق يرى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أنه "لا يمكن لروسيا أن تشعر بالأمان والتطور والبقاء مع وجود تهديد مستمر ينبع من أراضي أوكرانيا الحديثة"، وقد بنى بوتين إعلانه العملية العسكرية في أوكرانيا على هذا التقدير الاستراتيجي الأمني، وعلى المادة الـ 51 من الجزء الـ 7 من ميثاق الأمم المتحدة، بالإضافة إلى معاهدات الصداقة والمساعدة المتبادلة والموقعة مع جمهوريتي دونتسك ولوغانسك بعد الاعتراف بهما،

لذا فالمستنقع الأوكراني ينتظر الجيش الروسي، لكن موسكو أطلقت عمليتها تحت عنوان عدم التحول إلى قوة احتلال (دوغين، 2021).

وقد سعت روسيا للإبقاء على صيغة أوكرانيا موحدة ضمن اتفاقية مينسك الثانية التي تمنح إقليمي دونتسيك ولوغانسك صلاحيات حكم ذاتي واسع مع وجود ضمانات تصون حقوقهما داخل اوكرانيا، اذ ان وجود هذه المنطقتين ضمنها من شأنه أن يوفر لموسكو درعا للتأثير في السياسة الداخلية لأوكرانيا، لذا فإن مصلحة روسيا النهائية تكمن في نشوء دولة اوكرانية ضعيفة ومقسمة وعاجزة عن تحقيق التكامل الحقيقي مع الغرب، كما أن مصير أوكرانيا الشرقية يشكل عنصرا من عناصر خريطة مستقبلية كبيرة وبالغة التعقيد (فريدمان، 2019).

ومن هذا المنطلق استعاضت القوات الروسية عن اجتياح شامل عالي التكلفة، بنظم هلال حول النصف الشرقي من الخريطة الأوكرانية، تكون جمهوريتا دونيتسك ولوغانسك الشعبيتان عمقه، بينما تمتد أطرافه من ساحل أوديسا في الجنوب، حتى خاركيف وكييف وزيتومير في الشمال، وقيمة هذا الهلال تكمن في احتوائه المدن الرئيسة في أوكرانيا، وكان تسريع السيطرة على سواحل البحرين الأسود وآزوف تحول أوكرانيا لدولة حبيسة منقطعة عن المسطّحات المائية التي تتفاعل من خلالها مع العالم، مما يؤدي الى اختلاف القيمة الجيوسياسية لأوكرانيا الحبيسة، وربما تكون هذه النقطة تحديداً قد رسمت على أساسها خطة العملية على شكل الهلال، وحققت منذ اللحظة الأولى نتائج استراتيجية بالغة الأهمية بالنسبة إلى بوتين اذ تم السيطرة على بحر آزوف بصورةٍ تامة ليتحول إلى بحيرة روسية، والسيطرة على شواطئ البحر الأسود الشمالية، وهذه وضعية ملائمة لفرض خلاصات الحروب على طاولة المفاوضات (بريجنسكي، 2004)، خريطة رقم (1) توضح موقع أوكرانيا.

خريطة رقم (1) موقع أوكرانيا

لذا ينبغي القول وان هدف الروس هو تغيير قيمة أوكرانيا الجيوسياسية في الفضاء الحيوي الغربي لروسيا ويمكن تلخيص ذلك بعدة نقاط وهي:

أ- توقيع كييف على معاهدة تتضمن ضماناتٍ أمنية تتعهّد فيها عدم الانضمام إلى أحلاف معادية لروسيا.

ب- تأكيد السيطرة السياسية والعسكرية لولايتي دونتيسك ولوجانسك المعلنتين من طرف واحد جمهورتين مستقلتين عن أوكرانيا.

ج- التأكد من تحييد القوة العسكرية الأوكرانية ونزع السلاح الأوكراني وحرمان الدولة من أي ميزة عسكرية أو جيوستراتيجية لصالح الناتو.

وعليه نفّذت روسيا الاتحادية استراتيجيتها هذه في ظل بيئة دولية معقدة، وتحت وطأة تطورات عالمية دراماتيكية، ففي الداخل زادت الضغوطات على القيادة الروسية من مصادر خارجية وداخلية، فكانت العقوبات الغربية، ولاسيما الأميركية تحاول إعاقة صعود روسيا مجدَّداً، وقد واجهت روسيا أيضاً مخاطر اقتصادية نتيجة ذلك، وهناك أسباب اخرى تتعلق ببنية الاقتصاد الروسي، وتركيزه على قطاعات محدَّدة، وتناقص عدد السكّان، وعلى المستوى الإقليمي، تعاملت هذه الاستراتيجية مع أزمات عديدة وخطيرة، منها الأزمة الأوكرانية، والأمن في البحر الأسود، والنزاع المتجدِّد بين أرمينيا وأذربيجان، وأيضاً على المستوى الدولي، كان على القيادة الروسية أن تأخذ في الحسبان في أثناء تنفيذ استراتيجيتها، تطورات النظام

الاقتصادي الدولي، وانتشار الإرهاب ليطال الدول الكبرى ومنها روسيا، والحرب الاقتصادية بين الولايات المتحدة الأميركية والصين، وانتشار جائحة كورونا.

ولابد من التأكيد ان هدف روسيا من ذلك هو بقاء أوكرانيا حليفة لها في المقام الأول، وتحسم خيارها بالانضمام إلى الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، لضمان تحويل هذا الاتحاد إلى قوة اقتصادية حقيقية تؤهله ليصبح قوة عسكرية وجيوسياسية في مواجهة الاتحاد الأوروبي وأمريكا من ناحية، والصين من ناحية أخرى، كما أن أوكرانيا هي البلد المماثل لروسيا عرقيًّا وثقافيًّا ودينيًّا، إلى جانب بيلاروس، ووجودها في هذا الاتحاد سيخلق توازنًا أمام باقي البلدان الأعضاء التي تنتمي في غالبيتها إلى العرق التركي وتدين بالإسلام، وان وجود أوكرانيا في حالة تكامل اقتصادي وسياسي وعسكري مع روسيا يخلق منها بحق قوة عالمية، ويسمح لها بالوجود في الموانئ الدافئة العميقة، ويؤمّن حدودها مع الغرب، ويمكنها من الحديث بقدر كبير من المساواة مع أوروبا والولايات المتحدة والصين، كما سيؤدي هذا التكامل إلى تشجيع بلدان أخرى على حذو حذوها (مولدوفا وجورجيا، على سبيل المثال)، وسد الفجوة السكانية التي يمكن أن تشكل أزمة ديمغرافية كبيرة لروسيا في المستقبل القريب، كذلك تمثل أوكرانيا بوابة روسيا نحو أوروبا والبحار الدافئة وشبه جزيرة البلقان وكل أوروبا الشرقية، لذا فالضغوط السابقة والحالية تهدف إلى إقناع أوكرانيا بأنه لا مستقبل لها إلا مع موسكو حصرًا.

وبما ان الهدف الاستراتيجي لروسيا؛ وهو أن تصبح مرة أخرى قوة عالمية رائدة يمكنها الدفاع عن سيادتها ومصالحها، وتبني سياسة الحشود، ومنع الغرب من التدخل في الشؤون الداخلية لروسيا، واستبعاد من دخلوا في شراكة مع الغرب على حساب وطنهم من الخدمة العامة، وأصبح التقييم العام للاحتفاظ بالعلاقات مع الغرب ينظر إليه على أنه أقل ربحًا بشكل متزايد، وتزامن ذلك مع الصعود المذهل للصين، وتحول علاقتها مع بكين نحو التحالف الفعلي، وبناء محور يتجه نحو الشرق، وما رافقه من أزمة متعددة الأبعاد أحاطت بالغرب، وقد أدى هذا كله إلى تحول كبير في التوازن السياسي والجغرافي الاقتصادي لصالح روسيا.

وبناءً على ما سبق، تبدو حظوظ بوتين أكبر في تحقيق جزء كبير من أهدافه؛ ألا وهو أخذ أمريكا مصالح روسيا الجيوسياسية على محمل الجد، والتوصل إلى اتفاق ما بشأن توسيع حلف الناتو، وهو ما بدا واضحًا في مسارعة الرئيس الأمريكي جو بايدن إلى عقد محادثة افتراضية ومكالمة تليفونية مطولة مع بوتين في أقل من شهر؛ وذلك بهدف التوصل إلى خفض التوتر، ولم تعد العقوبات الاقتصادية تشكل عامل ردع للسياسة الروسية في ظل زيادة معدلات الاعتماد على الذات روسيًّا، وتعميق العلاقات مع الصين، وكذلك أبرز استعراض القوة الروسي الأخير لحلفاء الغرب في "المجال ما بعد السوفيتي"، أن الحماية الأمريكية المفترضة مجرد "شعار" بلا مضمون حقيقي من وجهة النظر الروسية، وهو ما يروج له الكرملين ترويجًا مكثفًا إعلاميًّا لشعوب تلك البلدان؛ على أمل أن يدفع ذلك قادتها إلى مزيد من التقرب إلى موسكو.

وبعد كل ما تقدم، يمكن القول إن روسيا عمدت على تكثيف العلاقة مع دول شرق اوربا على المدى المتوسط والبعيد، والذي يعتمد على مجموعة من العوامل وهي:

1- تمكنت موسكو من الاحتفاظ بعلاقات تقليدية مع تلك الجمهوريات المبنية على المصالح والتاريخ المشترك والتقارب الجغرافي.

2- السعي لتعزيز التعاون الامني بين روسيا الاتحادية والجمهوريات، من أجل ضمان الاستقرار في الاقليم لتجنب التوترات العرقية، فضلا عن الحفاظ على امن روسيا.

3- تسعى روسيا لضمان السيطرة على خطوط نقل الطاقة الى أوروبا وباقي العالم، وعلى هذا الاساس فإنّ روسيا سوف تتمكن من تحقيق هيمنة اقتصادية تؤكد على استمرار النفوذ والدور الروسي القوي في لأعوام قادمة.

اما على صعيد دور الولايات المتحدة في لعبة القوة فأنها سعت لتحجيم الدور والنفوذ الروسي في المنطقة، وتأكيد استقلال جمهوريات الإقليم، والعمل على منع روسيا من تأدية اي دور اقليمي او عالمي مستقبلي مهم، وعمدت الى محاصرة روسيا داخل حدودها السياسية كما فعلت مع اوروبا، فضلا عن اثارة الحروب الدائرة قرب الحدود الروسية كما في احداث الانسحاب من أفغانستان واحداث أوكرانيا وكازاخستان، الامر الذي يشكل تهديدا خطرا على الامن القومي الروسي.

ومن زاوية أخرى فقد دخلت الولايات المتحدة لعبة القوة من خلال سعيها لتوسيع حلف الناتو في المجال الحيوي لروسيا قابله مخاوف روسية من تقدمه باتجاهها عبر أوكرانيا وجورجيا المتاخمتين لأراضيها، وان أوكرانيا وبعد الثورة (البرتقالية) توجه قادتها نحو أوروبا الموحدة، وهو ما أثار قلقاً روسياً كبيرا، فروسيا تنظر بعين الشك والريبة للحلف، فقد جاء في وثيقة (الأمن القومي الروسي) لعام 2000 و2014 و2021 وصف حلف الناتو تهديداً للأمن القومي الروسي، وعليه فأن توتر العلاقات ما بين الولايات المتحدة وروسيا من جهة وروسيا وأوكرانيا من جهة أخرى ودفعت باتجاه تصعيد التوتر بينهما.

فالولايات المتحدة تسعى الى تطويق روسيا الاتحادية بسلسلة من الروابط، والتي سوف تعمل على للحد من حركتها في المستقبل، ففي السابق قامت الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب الروسية–الجورجية الى تخصيص ملياري دولار لمساعدة (**تبليسي**) لتوظيفها في اعمار جورجيا، وجاء تأكيد الولايات المتحدة الامريكية بأنّ جورجيا شريك استراتيجي مهم، مما أدى الى تزايد الضغط الشعبي في دول شرق اوربا بدفعها لتحقيق المزيد من الاستقلالية عن النفوذ الروسي، ورغبتها بإجراء اصلاحات اقتصادية وتحقيق الديمقراطية،

عن طريق اتباع سياسات خارجية تقوم على تحقيق التنمية الاقتصادية عن طريق تنويع علاقاتها الاقتصادية الخارجية، ولذلك تخشى بعض دول شرق اوربا من ان تقود قوة روسيا الى الاضرار بمصالحها.

ويلاحظ ان لأوكرانيا أهمية كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، في إطار دعم إستراتيجيتها العالمية للسيطرة على موارد الطاقة في العالم فيتم ذلك عبر إجراءات عدة، إذ تعكس الجهود الأمريكية هذه انعكاساً لطروحات مستشار الأمن القومي الاسبق بريجنسكي في كتابه رقعة الشطرنج الكبرى حيث كان له الأثر في رسم ملامح الإستراتيجية الأمريكية للهيمنة على مقدرات العالم، وأكد على ضرورة أن تسعى الولايات المتحدة بالعمل على توظيف كل قدراتها من أجل ضمها إلى مناطق نفوذها العالمية وقد تجسدت هذه الإستراتيجية من خلال إجراءات متعددة، فعلى الصعيد العسكري والأمني تصر الولايات المتحدة الأمريكي توسيع تواجدها العسكري ومقاومة توسع القوى الأخرى والسيطرة على مصادر الطاقة، وعملت على تقديم المساعدات الاقتصادية لدول اوراسيا من أجل مساعدتها في تنمية صناعة النفط والغاز لغرض التحرر من النفوذ الروسي وربط أسواقها بالاقتصاد الأمريكي، وشجعت تمويل وانشاء خطوط لنقل الطاقة لا تمر عبر روسيا، وتقود إلى استقلال الدول عن التبعية لروسيا في نقل الطاقة.

اما من جهة دول اوربا الغربية فألمانيا اليوم في موقف لا تُحسد عليه والأمر متروك لشولز لتقرير كيف ستكون التسوية هل سينفذ السياسة التي تخدم مصالح الشعب الألماني على أفضل وجه، أم أنه سيستسلم لبايدن؟ هل سيرسم مساراً جديداً يقوي التحالفات الجديدة في الممر الأوراسي المتوتر، أم أنه سيمنح دعمه لطموحات واشنطن الجيوسياسية؟ هل سيقبل الدور المحوري لألمانيا في نظام عالمي جديد؛ حيث تشارك العديد من مراكز القوة الناشئة بالتساوي في الحوكمة العالمية، وحيث تظل القيادة ملتزمة بلا تردد بالتعددية والتنمية السلمية والأمن للجميع؛ أم أنه سيحاول دعم نظام ما بعد الحرب الذي تجاوز عمره الافتراضي بوضوح؟ شيء واحد مؤكد؛ ألا وهو أن كل ما تقرره ألمانيا سيؤثر على الكل.

عليه يتضح على المدى المتوسط بأنه ستستمر الأزمة الأوكرانية وتتفاقم في ظل استمرار السياسات الطويلة الأمد الهادفة لتحقيق المكاسب من جانب واحد فقط، ستتشعب الأزمة أكثر وستصل إلى طريق مسدود وسيتم بلوغ نتائج صفرية من كلا الجانبين.

وفي حسابات الربح والخسارة يمكن توقع عدة سيناريوهات قد تؤل اليها الاحداث، يمكن القول إن الولايات المتحدة الأميركية وروسيا تحققان مكاسب من الأزمة الأوكرانية، وخلفهما تسعى دول العالم لتحقيق مكاسب خاصة بها من تفاعلات الأزمة الحالية، بينما تقف كل من أوكرانيا وأوروبا الغربية في موقع الخسارة التي قد تصل في سيناريوات تفكيك الدول واختفائها، سنتطرق لذلك وفق طرحين وهما المكاسب الاستراتيجية والخسائر المتولدة من الازمة الأوكرانية وفقا لما يلي:

1- المكاسب الاستراتيجية: يمكننا تلخّيص مكاسب الولايات المتحدة فيما يلي:

أ- مع انطلاق الطلقة الأولى، تم تعطيل خط الغاز الروسي "نورد ستريم 2" إلى ألمانيا، وهو كان هدفاً رئيساً لها في سياق سعيها الواضح لإشعال أزمة أوكرانيا في الأشهر القليلة الماضية، اذ لم يكن مجرد خط طاقة، بل يمكن وصفه بالمسار الذي تنامت ضمنه مصالح اقتصادية وعلاقات سياسية لتجمع أكبر قوتين في أوروبا، فاجتماع ألمانيا وروسيا في سياق استراتيجي تحالفي واحد سوف يعني إضعاف الهيمنة الأميركية على أوروبا.

ب- استعادت واشنطن وحدة الموقف الأطلسي، ومتانة "الناتو"، بعد أشهر قليلة من اهتزازه، بعد إفشالها صفقة الغواصات الفرنسية لأستراليا، وتشكيل تحالف "أوكوس" مع الأخيرة وبريطانيا، وفي هذا السياق لا يمكن نسيان تصريحات قادة فرنسا وألمانيا بشأن "الموت السريري للناتو" وضرورة تشكيل الجيش الأوروبي، وتحقيق مزيد من الاستقلال السياسي لأوروبا.

ج- حققت هدفاً آخر تمثّل بالحصول على حجج قوية من أجل فرض عقوبات على روسيا تعتقد أنها سوف تؤدي إلى إضعاف موسكو وبوتين شخصياً.

اما روسيا يمكن تلخيص أبرز مكاسبها في التالي:

أ- تعطيل انضمام أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي إلى أَجَل غير محدد، لحماية الأمن القومي الروسي عند الواجهة الغربية، ومنع تحول أوكرانيا إلى قاعدة أطلسية.

ب- توجيه رسالة شديدة القوة إلى القوى الأوروبية (شرقي أوروبا وغربيها)، مفادها عدم سهولة الإضرار بالمصالح الاستراتيجية الروسية، إثبات موقعها قوةً عظمى كاملة المواصفات.

ج- تعزيز مكانة روسيا في سوق الطاقة لعدم وجود بدائل كافية عن الغاز الروسي، وتوقع ارتفاع أسعاره في حال طالت الأزمة.

د- رسالة قوية إلى الحلفاء والخصوم، مفادها أن روسيا تقف مع حلفائها وتدافع عنهم في مواجهة الولايات المتحدة، وتعزيز مكانة روسيا في أوساط القوى الصاعدة كحليف يمكن الاعتماد عليه استراتيجياً، وكقوة قادرة على تنفيذ رؤاها.

2- الخسائر المتوقعة: في مقابل الرابحين، تبدو أوكرانيا أول الخاسرين وأبرزهم، جرّاء اشتعال الحرب. وبعدها تأتي دول أوروبا الغربية ويمكن توضيح ذلك بما يأتي:

أ- فبعد الطلقة الأولى وجد زيلينسكي نفسه وحيداً في الميدان واكتشف أن الغرب غير مستعد لإرسال الجنود إلى أوكرانيا، وأن الدعم لوجستياً وإعلامياً وسياسياً هو أقصى ما يمكن تقديمه إليه.

ب- ان دول أوروبا الغربية وتحديداً ألمانيا وفرنسا هي القوى الأكثر تضرراً من انفجار الأزمة الأوكرانية، ذلك بأن السياق السابق للأزمة كان يتضمن مصالح مفيدة لها مع الروس من ناحية، بينما ستشهد درجة الهيمنة الأميركية على أوروبا الغربية من ناحيةٍ ثانية ارتفاعاً نسبياً، فألمانيا خسرت فوائد "نورد ستريم 2"، الذي أعلنت الشركة المشغلة له إفلاسَها.

وعليه يمكن استنتاج عدة انعكاسات لسيناريو لعبة القوة في أوكرانيا وهي:

1. من المحتمل ان تجبر الأزمة الغرب على تقديم ما لم يكن مسموح بمناقشته في التفاوض مع إيران، إذا أصبحت ركنا جيوبوليتيكا ثابتا في رؤية بكين وموسكو نحو مستقبل علاقات القوة في العالم فأنها سوف تبتز الغرب بحذق في جميع ملفات الشرق الأوسط لتبقى في القلب من أية ترتيبات لإعادة هندسة خارطته الصعبة.
2. احتمال بتنفيذ سياسة الأرض المحروقة على كامل الأرض الأوكرانية، هناك سوابق عن هذه السياسة لنفس هذا الجيش في أفغانستان 1979-1989 ولنفس هذا الرئيس في الشيشان في ولايته الأولى، وقد أدت تلك السياسة في الحالتين إلى تسوية مدن وبلدات بأكملها مع الأرض.
3. كما أن الخيار الآخر الذي يراهن عليه بوتين الآن؛ هو أن يحصل على تسوية جديدة من قبل الغرب، أحد أبرز أوجهها أن تتحول أوكرانيا إلى دولة فيدرالية، تمنح الأقاليم فيها "فيتو" لا يقل أهمية عن الفيتو الذي تتمتع به العاصمة كييف، في تقرير توجهات أوكرانيا الخارجية مستقبلا.

الخاتمة:

مما تقدم يمكننا استنتاج ان روسيا الاتحادية تضغط باتجاه إعادة سيطرتها على أوكرانيا كجزء من مناطق نفوذها، وكذلك استثمار وجود أسطولها العسكري في البحر الأسود والاستثمار في مجال الطاقة، وترى في الموالين لها في أوكرانيا الداعم لمشاريعها وخططها الإستراتيجية، أما دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية في اطار لعبة القوة هذه تسعى لتعزيز مصالحها ونفوذها في أوكرانيا وتستثمر الجوار الأوروبي الغربي لأوكرانيا بالحث على دخول دول الاتحاد الأوروبي مع أوكرانيا في شراكات اقتصادية، وبذلك اصبحت أوكرانيا نقطة تعارض إرادات ومصالح روسيا الاتحادية ودول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ولكن من الطبيعي أن لا تصل إلى مواجهة أو حرب باردة جديدة، وعلى أوكرانيا أن تفكر في الخروج من هذه الأزمة كدولة مستقلة بإتباع سياسة داخلية وخارجية ثابتة ومستقلة قائمة على وضع المصلحة القومية الأوكرانية اولى أولوياتها وباتفاق كل الأوكرانيين كدولة أوكرانيا الموحدة وشعب أوكرانيا الموحد ومغادرة حالة الانقسام التي ستفضي إلى القضاء على الأزمات التي تعيشها، وأن تكون علاقاتها الدولية بشكل متساوي

ومتوازن مع أية جهة دولية وبما يحقق مصالحها القومية من خلال سياسة ثابتة وعلاقات دولية واقليمية تفضي الى وضع اوكرانيا في مكانتها الصحيحة في النظام الدولي.

قائمة المصادر:

1- Grajauskas, R. (2009). What is new in Russia's 2009 national security strategy? *Eastern Pulse, 6*(21). Centre for Eastern Geopolitical Studies.

2– دهشان، أ. (2022، 2 كانون الثاني/يناير). ديسمبر المشؤوم.. كيف أراد بوتين أن يغير قدر روسيا عبر أوكرانيا. *مجلة شؤون أوراسية*. مركز الدراسات العربية الأوراسية.

3– الحداد، أ. (2020). النموذج الروسي للحرب الهجينة في أوكرانيا: الخيارات والرهانات (ط. 1). مركز الكتاب الأكاديمي.

4– دوغين، أ. (2021، 22 تشرين الثاني/نوفمبر). ألكسندر دوغين يتحدث عن نظرية السياسة الرابعة [حلقة تلفزيونية]. *برنامج المقابلة*. قناة الجزيرة.

5– فريدمان، ج. (2019). *الأعوام* المائة القادمة: استشراف للقرن الحادي والعشرين (م. م. محمد، مترجم؛ ط. 1). دار الفرقد.

6– بريجنسكي، ز. (2004). الاختيار: السيطرة على العالم *أم* قيادة العالم (ع. الأيوبي، مترجم). دار الكتاب العربي.

7– السعدي، س. (2009). تداعيات الأزمة الروسية—الجورجية على العلاقات الأمريكية الروسية. *مجلة دراسات دولية*، (42). مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد.

8– العبيدي، س. ج. ش. (2022). *مشاريع الطاقة الأوراسية وآثارها الجيوسياسية* (ط. 1). دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.

9– كاراغانوف، س. (2021). عقيدة بوتين: المواجهة الروسية مع الناتو مجرد بداية السياسة الخارجية الجديدة لروسيا. *مجلة شؤون أوراسية*. مركز الدراسات العربية الأوراسية.

10–الربيعي، ك. ع. (2009، آذار). الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الروسي بين إرث الاحتواء والهيمنة والمستقبل. *أوراق* دولية، (175). مركز الدراسات الدولية.

11–الأمارة، ل. م. (2009). الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية.

12–سيف الدين، م. (2021، 22 تموز/يوليو). ماذا حققت استراتيجية الأمن القومي الروسي 2012–2020؟ *الميادين نت*.

13–سيف الدين، م. (2022، 5 آذار/مارس). نظرية اللعبة في أوكرانيا: سيناريو لتسوية الأزمة. *الميادين نت*.

14–فرح، م. (2022، 21 شباط/فبراير). إنها ألمانيا وليست أوكرانيا.. هل يقع بوتين وشولز في الفخ؟ *ساحات التحرير*.